مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص ٧٤٥-٧٨٧، (ربيع الثاني ١٤٤١هـ/ ديسمبر ٢٠١٩)

تشكّل الحكاية حجاجيّا
في نماذج من أخبار الطفيليّين

د. محمّد الناصر كحّولي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

ملخّص البحث: تمثّل العلاقة بين الحجاج والسرد موضوع بحث مستمرّ. وقد هيمن عليها مظهر واحد يتمثّل في الحجاج بالسرد، حيث يتنزّل السرد منزلة الخادم للحجاج، ويرد في صور مختلفة كالمثال أو الحجّة السرديّة. ولكن يوجد مظهر آخر مختلف، يتمثّل في الحجاج في السرد. ويهدف هذا المقال إلى بيان كيفيّة حضور الحجاج في مستوى الحكاية في نصّ سرديّ قديم. وسنبني المقال على أربعة عناصر:

مدار العنصر الأوّل على حجاجيّة الأعمال. فالأعمال من منظور إنشائيّ تخضع لعمل السرد، ولكنّها في المقاربة الحجاجيّة تضع لعمل المحاجّة. وسنخصّص العنصر الثانيّ للشخصيّات، للوقوف على مظاهر تشكّلها حجاجيّا في مستويات مختلفة.

وسينصرف المقال في العنصر الثالث إلى دراسة المكان وبيان كيفيّة اشتغاله حجاجيّا، وتحوّله وسيلة من وسائل الإقناع. وأمّا العنصر الرابع فسنفرده لدراسة الحمولة الحجاجيّة في الزمان، وبيان كيفيّة تراجع القيمة الظرفيّة وهيمنة القيمة الإقناعيّة.

ولعلّ المنتظر من النتائج أن يبين المظهر الجديد من مظاهر العلاقة بين الحجاج والسرد. وسنفيد في كلّ ذلك من أبرز مخرجات البحوث والدراسات اللسانيّة والبلاغيّة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج / الحكاية / الحجاج في السرد / التشكيل / الإقناع / الطفيلي.

المقدّمة

توسّع مجال بلاغة الحجاج لتشمل مختلف أنواع الخطابات بما في ذلك الخطاب السرديّ التخييليّ. ولعلاقة الحجاج بهذا الضرب من السرد وجهان: يتمثّل أوّلهما في الحجاج بالسرد. فأكسب الحجاج السرد خاصّيّة تداوليّة، وتنوّعت الروابط القائمة بينهما. فقد يرد السرد وسيلة إقناع[١]، أو حجّة خُلقيّة[٢] أو حجّة تمثيل[٣]، أو استعارة استعارة كبرى موجّهة إلى القبول بأطروحة مّا[٤]. وقد تكون له أبعاد حجاجيّة غير مباشرة[٥]. وهو في كلّ ذلك يجري إلى غاية محدّدة، مدارها خلق اعتقاد للتحفيز على على عمل مّا أو العدول عن آخر[٦]. وظلّت تلك الروابط وثيقة الصلة بوظائف السرد السرد الحجاجيّة وفي حدود المظهر الأوّل من العلاقة بين الحجاج والسرد، أو الحجاج من جهة أسسه التداوليّة وكونه عملا بالقول.

وأمّا ثاني الوجهين فيتمثّل في الحجاج في السرد. فتتجاوز الروابط بينهما مستوى الوظيفة لتشمل مقوّمات الحكاية من أحداث وشخصيّات وأمكنة وأزمنة. فالحجاج

---

(1) Aristote, Rhétorique, trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991, pp. 361-366 (1416 b-1417b).

(٢) محمّد مشبال، **الحجاج والتأويل في النصّ السرديّ عند الجاحظ**، نشر مشترك، ط ١، ٢٠١٥، ص٤٨.

(3) Floris Bex and Trevor Bench-Capon, Arguingwith stories, in Narration as argument, Springer International Publishing AG, 2017, p. 33.

(4) Bernard Meyer, Maîtriser l'argumentation, Armand Colin, Paris, 1996, p. 18.

(٥) يرى ألان رباتال أنّ للحجاج في السياق السرديّ أشكالا مختلفة. فهو لا يظهر في الحوار فحسب، حيث حيث تكون الشخصيّات قابلة لتحاجّ حجاجا ظاهرا، وإنّما يظهر أيضا في المقاطع الوصفيّة والسرديّة. فهي ذات أبعاد حجاجيّة غير مباشرة.

Alain Rabatel, Argumenter en racontant, Editions De BoeckUniversité, Bruxelles, 2004, p. 8.

(6) Jean-Michel Adam, Le texte narratif, Nathan, Paris, 1985, p. 11.

ينـدرج في بنـى اللغـة معجميّـا وصـرفيّا وتركيبيّـا[١]، وهـو مركـوز في كـلّ خطـاب[٢]، ومنغرس في كلّ عمليّة تواصل[٣]، وإذا كانت الوحدة المعجميّة أو المفردة حجاجيّة[٤]، حجاجيّـة[٤]، وتسـتمدّ طاقتهـا الحجاجيّـة مـن خصائصـها الاقتضـائيّة والتقويميّـة والتداوليّة[٥]، فإنّ ذلك يستلزم القول إنّ الحجاج مركوز في كلّ مقوّم من مقوّمات الحكاية، وأنّ لكلّ مقوّم قصصيّ خصائص يستمدّ منها طاقته الحجاجيّة[٦]، ومفعولا إقناعيّا يجري إلى تحقيقه. فيكون المظهر الثاني من العلاقة بين الحجاج والسرد قائما على الحجاج من جهة أسسه اللغويّة، وكونه عملا مضمّنا في القول[٧].

---

(1) Jean-Claude Anscombreet Oswald Ducrot, L'argumentationdans la langue, Mardaga, 3ème edition, Paris, 1997.

(2) Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, ARMOND COLIN, Paris, 2013.

(3) Phlippe Breton, L'argumentation dans la communication, La Découverte, Paris, 1996.

(٤) يرى ركاه أنّ الكلمة حمّالة عناصر قابلة لتكوين إكراهات حجاجيّة أثناء بناء الجملة.

Pierre-Yves Raccah, Racines lexicales de l'argumentation : la cristallisation des points de vue dans les mots, Verbum, n° 32, 2011, p. 123.

(٥) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، ج ١، جامعة منوبة، ٢٠٠١، ص ٨٦.

(٦) يرى غراسيو أنّ حجاجيّة الخطابات يمكن أن تتمركز في ثلاثة مستويات أساسيّة، ترد في الأشكال التالية:

– إسقاطات ملازمة لاستعمال اللغة. فيقع النبر على آليات التوجيه التلفّظيّ.

– قوّة تعديليّة ملازمة للخطاب. فيقع النبر على آليات التأثير الخطابيّ التي تهيّئ لتقبّل الخطاب.

– قوّة استنتاجيّة. فيقع النبر على آليات الاستدلال.

Rui Alexendre Gracio, Du discours argumenté à l'interaction argumentative, in La rhétorique, Les Essentiels d'Hermès, CNRS Editions, Paris, 2012, p. 114.

(٧) يقول شكري المبخوت: "إنّ البلاغة جهاز تفسيريّ واحد قادر على معالجة الحجاج في معناه اللغويّ وفي معناه المتطوّر عن المنطق، باعتباره عملا في القول على مذهب ديكرو وانسكومبر يرتبط ببنائه وتنظيمه اللغويّ، وباعتباره عمل تأثير بالقول يتعدّى إلى المخاطب ليغيّر من اعتقاده وسلوكه على مذهب بيرلمان".

=

ويترتّب على اندراج الحجاج في السرد انفتاح جدول علميّ مداره التشكيل الحجاجيّ في الحكاية. وهو في بعض وجوهها تثوير للتشكيل القصصيّ في الحكاية من منظور إنشائيّ. ولعلّ جدّة هذا الجدول العلميّ تجعله جديرا بالبحث والدراسة، فضلا عن محدوديّة الأعمال[١] التي عرضت له. فكيف يتشكّل كلّ مقوّم من مقوّمات الحكاية حجاجيّا؟ ومن أين يستمدّ طاقته الحجاجيّة؟ وفيم يتمثّل مفعوله الإقناعيّ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات آثرنا الانطلاق من أخبار الطفيليّين. ويردّ اختيارنا أخبار الطفيليّين إلى سببيْن: يتمثّل أوّلهما في أنّ الخبر الأدبيّ –في تقديرنا – أصل الخطاب السرديّ العربيّ. وما يميّز الأصل يلحق الفرع. ويتمثّل ثانيهما في أنّ أخبار الطفيليّين لم تنل حظّها من البحث من منظور بلاغة الحجاج.

وسنستند إلى أخبار الطفيليّين الواردة في كتاب الخطيب البغداديّ "التطفيل وحكايات الطفيليّين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم"[٢]. ولكنّنا لن نقتصر عليه لوجود أخبار تطفيل أخرى وردت مفرّقة بين كتب التراث العربيّ القديم. وبما أنّ الأعمال تعدّ أساس مقوّمات الحكاية في أخبار الطفيليّين، فكيف تشكّلت حجاجيّا؟

=

شكري المبخوت، **الاستدلال البلاغيّ**، دار المعرفة للنشر وكلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات بجامعة منّوبة–وحدة البحث في "تحليل الخطاب"، ط ١، تونس، ٢٠٠٦، ص ١٤.

(١) وجدنا – في ما تيسّر لنا الاطّلاع عليه– بحثا درس فيه صاحبه الحجاج في مستوى الخبر ومستوى الخطاب في الرواية.

زهيّر قاسمي، **الحجاج في نماذج من الرواية العربيّة**، أطروحة دكتوراه، أشرف عليها الأستاذ محمّد نجيب العمامي، ونوقشت يوم ٩ جوان / حزيران ٢٠١٥ بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة.

(٢) الخطيب البغداديّ، **التطفيل وحكايات الطفيليّين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم**، الجفّان والجابي للطباعة والنشر، (د. ت).

تشكّل الأعمال حجاجيّا

تشكّلت الأعمال في أخبار الطفيليّين تشكّلا حجاجيّا مخصوصا. ولبيان ذلك ننظر في هذين الخبريْن:

- الخبر الأوّل: "حدّثني محمّد بن الحسن بن عبيد الله البزاز أنّ طفيليّا دخل على قوم، فقالوا له: ما دعاك أحد! قال: إذا لم تدعوني ولم أجئْ أنا، وقعت وحشة. فضحكوا منه وقرّبوه" (ص ١١٤)[1].

- الخبر الثاني: "قال لي محمّد بن علي: وقيل لنوح الطفيليّ: كيف تصنع إذا لم يتركوك تدخل إلى عرس؟ قال: أنوح على الباب حتّى يتطيّروا منّي، فيدعوني"(ص ١١٩).

يتكوّن الخبر الأوّل من مقطعيْن جزئيّيْن: يبدأ أوّلهما من بداية المتن، وينتهي بانتهاء كلام الطفيليّ. واستأثر الراوي بملفوظين: أنجز في أوّلهما عملا إثباتيّا أسند فيه فعل الدخول إلى الطفيليّ. وأسند في الملفوظ الثاني القول إلى القوم ثمّ الطفيليّ.

وأنجز القوم في قولهم عمل النفي. ومفاده استنكار دخول الطفيليّ المريب، والتعجّب من مجيئه المفاجئ، والاستغراب من جرأته. فقد أثار كلّ ذلك حفيظتهم وحنقهم. فألزموا الطفيليّ التعليل. وأنجز الطفيليّ في قوله عمل التعليل. فقد دخل على القوم دخولا غير عاديّ لسببيْن: فهو لم يُدع، ولم يستأذن. فوجد نفسه في ما يبدو أنّه ورطة. فهو من جهة قد خالف جميع المقتضيات التداوليّة لا سيّما في المجتمع العربيّ الإسلاميّ، إذ توجب هذه المقتضيات أنّ يكون المجيء بعد دعوة، وأن يكون الدخول بعد استئذان. وهو من جهة أخرى قد وجد من القوم إعراضا واستنكارا.

---

(١) سنحيل على كتاب "**التطفيل**..." طيّ المتن تجنبا لتضخيم الهامش.

عندئذ عجّل الطفيليّ بتعليل مجيئه بالخروج من حدّ الجدّ إلى حدّ الهزل، لكون الهزل إستراتيجيّة تكسر جدّيّة الخصوم. وعلّق تعليقا شرطيّا عدم دعوة القوم له وعدم مجيئه تلقاء نفسه بوقوع القطيعة واتّصال الجفوة. وهذا التعليل متهافت من ثلاثة وجوه: يتّصل الوجه الأوّل بزعم الطفيليّ بوجود علاقة تربطه بالقوم. وهي علاقة لا وجود لها أصلا إلّا في ذهنه. وينكرها القوم ويعجبون بها. فلم يجهر سطح النصّ بأيّ صلة قرابة أو جوار أو سابق معرفة تحفّز الطفيليّ على إحيائها بين فينة وأخرى. ويتمثّل الوجه الثاني في استنكار القوم فعل الطفيليّ. فلم يهشّوا إليه. وأمّا ثالث الوجوه فيتّصل بعجيب الاتّفاقات بين زيارة الطفيليّ الإحيائيّة واجتماع القوم للطعام. فخرج التعليل من دائرة التبرير المنطقيّ والواقعيّ، إلى دائرة الاحتيال[١] والكيد[٢]. ولنقل إنّها دائرة التضليل والكذب.

واستند الطفيليّ إلى التضليل لكونه إستراتيجيّة ماكرة. فقد جاء إلى القوم دون سابق دعوة. ودخل عليهم دون استئذان. ثمّ أفلح بواسطة الخطاب في تبرير أعماله من جهة، وامتصاص غضب القوم واستنكار سلوكه من جهة أخرى. ولمّا كان الطفيليّ قد واجه الجدّ في سؤال القوم بالهزل في إجابته، وواجه صدق القول بالكذب[٣]

---

(١) للتوسّع في فنون الاحتيال عند العرب يُنظر:
السياسة والحيلة عند العرب رقائق الحلل في دقائق الحيل، تحقيق رنيهخوام، دار الساقي، اندن، ١٩٨٨.

(٢) ذهب فرنك مارتين إلى أنّ الحيلة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة القديمة اتخذّت خصوصا معنى المكيدة.
Frank Martin, Cultures orientales de la ruse Hébreux Grecs et Arabes, L'Harmattan, Paris, 2013, p. 170.

(٣) ليس الكذب موضوعا أخلاقيّا أو فلسفيّا فحسب، بل أصبح موضوعا لسانيّا حقّا. فقد أُعطي الكلام للناس لتبادل الأفكار. ومن يوظّف الكذب يكون قد أساء استعمال الكلام. ولما كانت الكلمات علامات ذهنيّة فإنّها في حال الكذب ستتّجه ضدّ طبيعتها وضدّ الذهن لكونها وُضعت في خدمة
=

والتضليل، تضخّم التضليل واستقطب جميع الأعمال، وصار قطب المقطع الجزئيّ الأوّل من الخبر الأوّل ومداره. فلولا التضليل لما وُجد هذا الخبر. فجاز الاصطلاح على هذ المقطع الجزئيّ الأوّل بالتضليل.

وارتبط قول الراوي بقول القوم وقول الطفيليّ عن طريق عمل السرد القائم على التتابع[١]. وارتبط قول القوم بقول الطفيليّ عن طريق عمل المحاجّة[٢]. فالنفي الوارد في قول القوم يتنزّل منزلة الحجّة. ويتنزّل التبرير الوارد في قول الطفيليّ منزلة النتيجة. ويعدّ قول الطفيليّ بؤرة المقطع الجزئيّ الأوّل من الخبر، وتتويجا له. فقول الراوي تمهيد لقول الطفيليّ. وقول القوم قادح له.

وأمّا المقطع الجزئيّ الثاني فيتكوّن من قولين للراوي مفادهما الضحك والتقريب. وقد ضحك القوم لما وجدوه في تبرير الطفيليّ من تناقض بين الخطاب والخطيب. فلئن كان الخطاب صادقا فإنّ الطفيليّ كاذب. ويتجلّى صدق الخطاب في تواتر الإثباتات المترابطة[٣]. ويتجلّى كذب الطفيليّ في وجود نيّة الخداع والغشّ لديه[١].

=

الكذب. فالكلام يجب أن يوضّح الأفكار لا أن يحجبها. وموضع الرهان هو وظيفة اللغة الدلاليّة لكون الكذب يُفسدها. للتوسّع يُنظر:

Harald Weinrich, Linguistique du mensonge, traduit de l'allemand par Hélène Lucas, Limoges Lambert-Lucas, 2014, pp. 7-8.

(١) تتابع الجمل –حسب ميشال ميّار– على أساس غرضيّ. وله أربع صور، وهي أن تستأنف الجملة الموالية موضوع الجملة الأساسيّة، أو موضوعا فرعيّا، أو أحد المقترحات الواردة فيها، أو أن تقطع معها.

Bernard Meyer, Maîtriser l'argumentation, op. cit. pp. 178-180.

(٢) يتمثّل عمل المحاجّة في الحمل على قبول القول ق ٢ نتيجة للقول ق ١ من جهة كونه حجّة.

Jean-Claude Anscombre et Oswald Ducrot, L'argumentation dans la langue, op. cit. p. 8.

(٣) ليكون هناك صدق يجب أن يوجد أكثر من إثبات حقيقيّ. ويجب أن يكون هناك ترابط بين اثنين على الأقلّ.

=

فكلام الطفيليّ صادق نصّيّا، أي صادق في ذاته ولذاته، وكاذب خطابيّا، أي كاذب في مقامه وسياقه.

وقد فطن القوم لحيلة الطفيليّ، وعلموا مراده. ولئن كانوا نفروا منه فإنّهم أذعنوا لخطابه[٢]. فاستطرفوه وضحكوا منه وأدركوا أنّه طفيليّ ظريف.

وبذلك يكون الطفيليّ قد أثّر بالقول في القوم، وأحدث فتحا في نوازعهم. فأفرغهم ممّا فيهم من استنكار واستغراب، وملأهم بالغبطة والانشراح، وأحدث شرخا في أذهانهم. فأخرجهم من وضع ذهنيّ قائم على المنع إلى وضع ذهنيّ قائم على الاستثناء من المنع. وحصل على رضائهم وموافقتهم. وليس حصول الطفيليّ على رضى القوم وموافقتهم إلّا نجاحا معنويّا قد يؤدّي إلى نجاح ماديّ. ولمّا كان الطفيليّ قد استنفد قواه الذهنيّة واستنفر جميع الاعتبارات الخطابية في بناء حيلته للحصول على رضى القوم وموافقتهم جاز الاصطلاح على هذا النجاح الجزئيّ بالتحصيل المعنويّ.

ويقتضي التقريب الوارد في القول الثاني أن يُجمل القوم عشرة الطفيليّ. فيتلطّفون معه في المعاملة ويوسعون له في المجلس ويشاركهم الطعام. فيكون الطفيليّ قد أصاب مبتغاه. وليس هذا الظفر إلّا نجاحا ماديّا يعزّز النجاح المعنويّ السابق. ويمكن الاصطلاح عليه بالتحصيل المادّي. وهكذا يكون مدار المقطع الجزئيّ الثاني في الخبر الأوّل التحصيل.

=

Francis Wolff, Argumentation et technique de vérité, in L'argumentation, CNRS, Paris, 2011, p. 129.

(١) الكذب عند أوغستين هو وجود مقصد غشّ مختف خلف الجملة الكاذبة.

Harald Weinrich, Linguistique du mensonge, op. cit. p. 32.

(٢) يرى فرنسيس وولف أنّ الحجاج يتميّز بمقصد تحقيق اتّفاق المخاطَب، ويكون الاتّفاق إذعانا للخطاب وليس إذعانا للمخاطِب.

Francis Wolff, Argumentation et technique de vérité, op. cit. p. 127.

وارتبط القول الأوّل في المقطع الجزئيّ الثاني بالقول الثاني عن طريق عمل المحاجّة. فالضحك الوارد في القول الأوّل حجّة، وعمل التقريب الوارد في القول الثاني نتيجة.

وقد ارتبط المقطعان الجزئيّان المكوّنان للخبر الأوّل[1] عن طريق عمل المحاجّة. فالمقطع الجزئيّ الأوّل تكوّن من مجموعة من الأقوال، مثّل قول الطفيليّ خيطها الناظم، وجرى إلى تضليل القوم بحملهم على الاقتناع بأنّ دخوله عليهم ينضوي إلى حرصه على إحياء الصلات بهم ولا علاقة له بالطمع. وتكوّن المقطع الجزئيّ الثاني من قولين أثبت بهما الراوي تحقّق عمليّة الاقتناع. فخرج القوم من حالة الاستنكار إلى حالة الاستبشار. وغيّروا سلوكهم مع الطفيليّ من الصدّ إلى القبول.

ونحن نقدّر أنّ القوم قد علّقوا على تبرير الطفيليّ قبل أن يستغرقوا في الضحك، واقتنعوا بكلامه لما فيه من طرافة. ثمّ أعلنوا موافقتهم على مجالستهم. ثمّ دعوه إلى مشاركتهم الطعام. فنحصل في أدنى تقدير على ثلاثة أقوال. وهي تمثّل نتيجة لقول الطفيليّ الوارد في نهاية المقطع الجزئيّ الأوّل. فيكون قول الطفيليّ والأقوال الواردة في المقطع الجزئيّ الأوّل حجّة. والأقوال المقدّرة في المقطع الجزئيّ الثاني نتيجة.

وقد عمد الراوي إلى تسريد أقوال الشخصيّات، وغيّب أصواتها استجابة لمواضعات السرد في أدب الأخبار حيث الاقتصاد في الأساليب وهيمنة صوت الراوي على أصوات الشخصيّات. واتّخذ هذا الخبر الأوّل الهيأة القوليّة التي هو عليها. ولئن أدّى تسريد الأقوال المقدّرة في المقطع الجزئيّ الثاني إلى حجب سمة المباشرة فيها فإنّه لم

(١) يرى ميشال ميّار أنّ الروابط بين الأفكار تظهر بنية الاستدلال. وتتمثّل في الجمع والسبب والنتيجة والغاية والتعارض والافتراض.

Bernard Meyer, Maîtriser l'argumentation, op. cit. pp. 169-174.

يغيّر ارتباطها بالأقوال السابقة في المقطع الجزئيّ الأوّل عن طريق عمل المحاجّة. ويمكن توضيح هذه العلاقة عن طريق الترسيمة التالية:

المقطع الجزئيّ الأوّل = حجّة

↓ ↓

المقطع الجزئيّ الثاني + الأقوال المقدّرة = نتيجة

ونصل إلى أنّ المقطع الجزئيّ الأوّل في أخبار الطفيليّين يتكوّن من مجموعة من الأقوال، منها ما هو مسند إلى الراوي، ومنها ما هو مسند إلى الشخصيّات. وهي ترد أحيانا مباشرة، وتخضع أحيانا أخرى لعمليّة تسريد. وترتبط في ما بينها إمّا عن طريق عمل السرد أو عمل المحاجّة أو عمل الاستدلال[١].

وتتضافر تلك الأقوال جميعها لبناء الحيلة التي سيضلّل بها الطفيليّ شخصيّة أخرى هي عادة البوّاب أو من يقوم مقامه أو صاحب الحفل أو صاحب الطعام. فالتضليل هو القطب الدلاليّ حسب "منوال الحقول الموضعيّة المعجميّة"[٢]، وهو المظهر الأجلى من مظاهر الكتلة الدلاليّة بين تلك الأقوال.

وليس المقطع الجزئيّ الثاني بمختلف عن المقطع الجزئيّ الأوّل من جهة البناء وطبيعة الأقوال والروابط بينها. غير أنّ الأقوال الواردة في المقطع الجزئيّ الثاني تتضافر لتكشف أمريْن: يتّصل أوّلهما باقتناع المضلَّل بدعوى الطفيليّ أو التظاهر بالاقتناع.

---

(١) أساس عمل الاستدلال "علاقة اعتقادات المتكلّم بحالة الأشياء أي ترابط الأحداث والوقائع في الكون". شكري المبخوت، نظريّة الحجاج في اللغة، ضمن **أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم**، إشراف حمّادي صمّود، منشورات كلّيّة الآداب منّوبة، ١٩٩٨، ص ٣٦٢.

(2) Pierre-Yves Raccah, Racines lexicales de l'argumentation : la cristallisation des points de vue dans les mots, op. cit. p. 123.

ويتّصل ثانيهما بظفر الطفيليّ بمراده وحصوله على طلبته التي لا تتجاوز عادة معدته. ويمثّل التحصيل أساس الكتلة الدلاليّة بين تلك الأقوال.

ومنتهى طموح الطفيليّ في المقطع الجزئيّ الأوّل إقناع كلّ من يعرقل سعيه إلى الوصول إلى الطعام بأنّه ليس طفيليّا. ولكنّه لا يوظّف الحجاج الموجب الجاري إلى الإقناع بصدق الوقائع وإنّما يوظّف الحجاج المغالطيّ[١] السالب. فأقواله ليست مسلمات لا شيّة فيها. فهو يعمد إلى الاحتيال وإعداد الفخاخ لتغليط القائم على الطعام وتضليله، واستدراجه إلى دائرة الإقناع.

ويكشف المقطع الجزئيّ الثاني النتيجة المترتّبة على الأقوال الواردة في المقطع الجزئيّ الأوّل، وتتمثّل أساسا في تلبية طلبة الطفيليّ. فيتنزّل التضليل منزلة الحجّة. وتتنزّل التلبية منزلة النتيجة[٢]. فنحصل في مستوى الأعمال في أخبار الطفيليّين على بنية حجاجيّة ثنائيّة ذات أسس لغويّة.

ولنا أن نختبر هذه البنية الحجاجيّة الثنائيّة انطلاقا من الخبر الثاني. ولئن كان الخبر الأوّل في ممارسة التطفيل فإنّ الخبر الثاني في سياسة التطفيل. فنوح الطفيليّ لم يتحدّث عن ممارسة التطفيل وإنّما تحدّث عن سياسته في التطفيل. وتقوم تلك السياسة على خطّة تتمثّل في النواح على باب أصحاب الحفل. فيوهمهم بأنّه مكلوم أو بوجود مأتم حقيقيّ. فيسارعون إلى إسكاته ريثما ينتهي حفلهم. وليس الإيهام الذي مارسه

(١) للتوسّع في الحجاج المغالطيّ يُنظر:

محمّد الناصر كحّولي، الحجاج المغالطيّ في أدب الأخبار، مجلّة **جذور**، العدد ٤٦، أفريل، ٢٠١٧.

(٢) يرى ألان بوير أنّ بعض المعطيات تكوّن حجّة بالنظر إلى النتيجة.

Alain Boyer, Discourir et argumenter, in L'argumentation, CNRS, Paris, 2011, p. 117.

نوح الطفيليّ إلّا وجها من وجوه التضليل. فيصبح التضليل المرحلة الأولى الكبرى في سياسة التطفيل.

وتقوم سياسة التطفيل على الكذب من أجل التضليل على وجهين. فهي كاذبة نصّيا وكاذبة خطابيّا. وهي كاذبة نصّيّا[١] لأنّ الجمل المنطوقة أثناء النواح، أيّا كان موضوعها، جمل كاذبة تختفي تحتها جمل صادقة غير منطوقة[٢]. وهي كاذبة خطابيّا لوجود نيّة الغشّ والخداع لدى الطفيليّ. فالطفيليّ خطيب كاذب يضلّل الناس بخطاب كاذب.

ويترتّب على التضليل تفاعل أصحاب الحفل مع المضلّل. وقد لا يكون تفاعلهم نتيجة لقصور أذهانهم عن إدراك كذب الطفيليّ نصّا وخطابا، وإنّما نتيجة لفزعهم من النواح مطلقا. فيقدّمون بعض التنازلات، ويسمحون للطفيليّ النائح قرب الباب بالدخول وإن على مضض. ويهرعون إلى مواساته وتخفيف مصابه، وإدخاله مكان الحفل عساه ينسى بعض ما به من غمّ. وقد أكّد كلام الطفيليّ في آخر الخبر الثاني هذه النتيجة. ويترتّب على الإذن بالدخول الحصول على الطلبة.

وهكذا تضافر التطفيل ممارسة والتطفيل سياسة لتعزيز ما ذهبنا إليه من أنّ أخبار التطفيل خاضعة لبنية حجاجيّة ثنائيّة. مثّل التضليل قطب المكوّن الأوّل. ومثّل

---

(١) يرد الكذب –حسب هارولد واينريش– عن طريق الجمل أو الكلمات. والكلمات المجرّدة أكثر قابليّة للكذب من الكلمات المحسوسة.

Harald Weinrich, Linguistique du mensonge, op. cit. p. 29.

(٢) يرى هارولد وينريش أنّه يمكن الآن تعديل مفهوم الكذب عند أوغستين. فاللسانيّات تعدّ كذبا حقّا وجود جملة صادقة غير منطوقة خلف جملة كاذبة منطوقة تختلف عنها اختلافا عكسيّا. أي تضع اللفظم الإثباتيّ نعم / لا موضع رهان.

Harald Weinrich, Linguistique du mensonge, op. cit. p. 32.

التحصيل مدار المكوّن الثاني. وخضع المكوّنان لمنطق حجاجيّ. فارتبط التضليل بالتحصيل ارتباط الحجّة بالنتيجة.

ولئن مثّلت تلك البنية كلّيّة ثابتة وصورة مجرّدة وشكلا فارغا تختصّ بها أخبار الطفيليّين فإنّ ترتيب مكوّناتها قد يلحقه التغيير. فيرد التضليل بعد التحصيل في بعض الحالات. ودونك الخبر التالي:

"مرّ طفيليٌّ بسِكَّةِ النَخَع بالبصرةِ على قوم يأكلون في وليمة، فاقتحمَ عليهم، وأخذ مجلسَه معَ مَنْ دُعِيَ، فأنكره صاحبُ المنزلِ، فقال: لو أتيتَ ووقفتَ حتى يُؤذَنَ لكَ، أو يُبعثَ إليكَ. فقال: إنّما اتُّخِذَتِ البيوتُ ليُدخَلَ إليها، ووُضِعَتِ الموائدُ ليُؤكلَ عليها، وما وَجَّهْتُ بهديّة حتى أنتظرَ الدعوةَ، والحِشمةُ قَطِيعةٌ، واطِّراحُها صِلَةٌ، وقد جاء في الأثرِ: "صِلْ مَنْ قطَعَكَ، وأَعْطِ مَنْ حَرمَكَ"[1].

لم يواجه الطفيليّ في هذا الخبر سلطة البوّاب. فلم يُحوج نفسه إلى إعمال عقله وإعداد الفخاخ للإيقاع بالبوّاب وتضليله. ووجد نفسه جالسا بين المدعوّين أمام المائدة. فظفر بطلبته وحصل على مراده. ولكن في أثناء ذلك طرأ ما قد يعدّ منغّصا تمثّل في صاحب المنزل. فقد نحا باللوم على الطفيليّ، واستنكر دخوله دون دعوة أو استئذان.

وقد يكون استنكار صاحب المنزل أشدّ مضاضة على الطفيليّ من صدّ البوّاب. فالطفيليّ قد يكون وحيدا عندما يصدّه البوّاب، وقد ينتبه إلى عمليّة الصدّ بعض المدعوّين فحسب. وفي كلتا الحالتيْن فإنّ الطفيليّ لا يشعر أنّ ماء وجهه أريق وأنّ وجهه السلبيّ انتُهك. وأمّا استنكار مجيء الطفيليّ على رؤوس الملإ ممّن حضر الوليمة فيفقده ماء وجهه كلّيّا، ويُشعره بأنّه لم يعد في قوس الصبر منزع. فينتفض ضدّ من أهانه.

---

(١) الخطيب الأمويّ، **روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار الجامعة لفنون الآداب**، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩، ص ٣٠٤.

ولذلك عمد الطفيليّ إلى تقنيّتيْن حجاجيّتيْن: أولاهما الإطلاق. وتحقّق نصيّا ببناء فعليْن للمجهول والامّحاء الحجاجيّ[١]. وثانيتهما الإسهاب. فقد أغرق الطفيليُّ صاحبَ المنزل في دفق من الحجج. فحاجّه بوظائف الأشياء الأصليّة. فوظيفة البيت الأصليّة الدخول إليه، ووظيفة المائدة الأصليّة الأكل عليها. ثمّ دحض دعوى صاحب المنزل. فلا يمكنه انتظار دعوة لأنّه لم يرسل هديّة. ثمّ قدّم دعواه، ومفادها ضرورة اطّراح الحشمة إبقاء للصلة. وأيّدها بحجّة الشاهد القوليّ.

ولخطاب الطفيليّ مفعول حجاجيّ ذو أربعة وجوه: يتّصل أوّلها بالنأي بنفسه عن موقع المحجوج المتّهم بالتطفيل، المطعون في هيبته إلى موقع المحاجّ صاحب الفضل في الحرص على دوام الصلة بالآخرين. ويتمثّل ثانيها في إخراج صاحب البيت من موقع المحاجّ الحريص على احترام آداب الدخول إلى البيوت والإقبال على الموائد إلى موقع المحجوج المتّهم بقطع الصلة والتشدّد في العطاء تشدّدا يُلحقه بمراتب البخلاء. ويتعلّق الوجه الثالث بإخراج المدعوّين من وضع ذهنيّ أوّل قوامه تحقير الطفيليّ واطّراحه وتهميشه[٢] إلى وضع ذهنيّ ثان قوامه تبجيل الطفيليّ وتعظيمه. وأمّا الوجه الرابع فيتّصل بتحقيق الوجود. فالطفيليّ قارب في خطابه مراتب "الثرثرة"[٣] أو كاد. فهو يشعر بوجوده فعلا، ويُشعر الآخرين به بقدر ما هو يتكلّم.

---

(1) Alain Rabatel, Pour une reconception de l'argumentation à la lumière de la dimension argumentative des discours, in journals.openedition.org/aad/2493 ; DOI : 10.4000/aad.2493, (Visité le 15/06/2018, à 23h).

(٢) صنّف محمود طرشونة الطفيليّين ضمن الهامشيّين.

محمود طرشونة، الهامشيّون في ألف ليلة وليلة، ضمن **القطاع الهامشيّ في السرد العربيّ**، دار البيروني للنشر، ١٩٩٤، ص ٨١.

(٣) الثرثرة –حسب فلوريا– صيغة وجود.

Ligia Stela Florea, Pour une approche linguistique et pragmatique du texte littéraire, Editions eliteratura, Bucarest, 2015, p. 95.

وقد بُني التضليل في الخبر على التناقض بين صدق الخطاب وكذب الخطيب. ويظهر صدق الخطاب في قيامه على إثباتات مترابطة. ويظهر كذب الطفيليّ في نيّة الغشّ لديه، ونسبته إلى التطفيل الدالّة على أنّه يقول ما لا يفعل. فهو لا يقبل أن يدخل منزله أو يأكل على مائدته، متى قُيّض له أن يُعدّ مائدة، من لم يُدع أو يستأذن. ولا نعتقد أنّه كاهن في معبد الصلة، ولا أنّه يصل من قطعه، أو يعطي من حرمه. وإنّما يتّصل بمن وصله أو قطعه، ويأخذ ممّن أعطاه أو حرمه. ويترتّب على كلّ ذلك انحصار وظيفة خطاب الطفيليّ التداوليّة في تضليل عقول صاحب المنزل والحاضرين ومغالطتها.

وقد سكت راوي الخبر عن تأثير قول الطفيليّ في صاحب المنزل والحاضرين. ونحن نقدّر استنادا إلى عمل استدلاليّ أنّ صاحب المنزل قد أُتي من جهة الصدق في الخطاب. فبهت، وتعطّلت أدوات الشكّ لديه، فلم تسعفه في معرفة نيّات الطفيليّ. فأذعن لصدق الخطاب وقوّته رغم كذب الخطيب وبغضه له. فالطفيليّ خطيب كاذب يضلّل السامع بخطاب صادق.

وإذا كان التحصيل واحدا، وهو مقصد نفعيّ ينحصر عادة في الظفر بالطعام، فإنّ التضليل إستراتيجيّة. فالمسؤول عن الوافدين سواء كان البوّاب أو صاحب الحفل، منوط بعهدته القبول والموافقة أو الرفض والمنع. وهو يتحرّك بين وضعيْن ذهنيّيْن: وضع ذهنيّ أوّل مداره القبول، يبيح فيه للمستدعَى والقريب ومن له سابق معرفة بصاحب الحفل الدخول. ووضع ذهنيّ ثان مداره الرفض، يمنع فيه من الدخول غير المستدعى والغفل ومن لا صلة له بصاحب الحفل.

وتقوم إستراتيجيّة التضليل عند المتطفّل على خلق وضع ذهنيّ ثالث في ذهن المسؤول عن الوافدين، مداره الاستثناء. فيمرّ بمقتضاه من منطقة الرفض إلى منطقة الاستثناء. وهذا الوضع الذهنيّ الثالث يوجد نتيجة كسر يحدثه المتطفّل في ذهن المسؤول

عن الوافدين. فينزلق من وضع الرفض إلى وضع استثنائيّ جديد قائم على القبول والموافقة[١].

والتضليل من جهة كونها إستراتيجيّة أنماط عدّة، أبرزها ثلاثة: أوّلها التضليل بالأقوال[٢]. فالطفيليّ يعمد إلى خلق وضع تواصليّ[٣] مع المسؤول عن الحفل لاستدراجه وتوريطه. ولننظر في هذا الخبر:

"قيل مرَّ طفيليّ على قوم يتغدون، فقال: السلامُ عليكم معشرَ اللئامِ. قالوا: لا واللهِ، بل كرامٌ. فثَنَى ركبته، وقال: اللهُمَّ اجعلهمْ من الصادقين، واجعلنِي من الكاذبين" (ص ١٢٨).

غاب البواب أو القائم مقامه في هذا الخبر وحضر أصحاب الغذاء. ولجأ الطفيليّ إلى إستراتيجيّة التضليل بالأقوال. فادّعى في تدخّله الأوّل في الخبر الأوّل دعوى مفادها أنّ المخاطبين من اللئام. وبنى تدخّله على قياس خطابيّ أضمر مقدّمتيْه الكبرى والصغرى. وتخريجه على النحو التالي:

المقدّمة الكبرى: اللئيم يمنع الطعام.

المقدّمة الصغرى: أنتم تمنعون الطعام.

النتيجة: أنتم لئام.

---

(١) يسعى الخطيب إلى تغيير الآراء وفرض "الأشياء" والصورة والتمثيل التي يقدّرها على النحو الذي يرغب فيه.

Gisèle Mathieu-Gastellani, La rhétorique des passions, P.U.F, Paris, 2000, p. 97.

(٢) يقابل التضليل بالقول الحيلة القوليّة في تصوّر فيسيلا جينوفا.

Vessela Guenova, La ruse dans le roman de Renart et dans les œuvres de François Rabelais, Paradigme, Orléans, 2003, p. 287.

(٣) الحوار حسب برنار ميّار هو الحجاج مستعملا.

Bernard Meyer, Maîtriser l'argumentation, op. cit. p. 26.

وبنى الطاعمون ردّهم على مقدار تدخّل الطفيليّ. فوظّفوا قياسا خطابيّا أضمروا مقدّمتيْه الكبرى والصغرى. وتخريجه على النحو التالي:

المقدّمة الكبرى: الكريم يجود بطعامه.

المقدّمة الصغرى: نحن نجود بطعامنا.

النتيجة: نحن كرام.

بُنيت إستراتيجيّة التضليل عند الطفيليّ على مرحلتين: تتّصل أولاهما بالتلبيس على موضوع الحوار، وهو الطعام. فلم يورد في خطابه أيّ إشارة إليه، وإنّما أثار موضوعا فرعيّا. فحشر أصحاب الغداء مع فئة اللئام. وهو حكم قيمة يُخرجهم من دائرة الفضائل ويدخلهم في دائرة الرذائل. وعلى هذا النحو فهم أصحاب الغداء خطاب الطفيليّ. فعجّلوا بدحض الحكم، وسارعوا بإعادة أنفسهم إلى وضعهم الطبيعيّ. وذكروا من تلك الدائرة قيمة الكرم لكونها نقيض ما رماهم به الطفيليّ.

ولعلّ أصحاب الغداء انصرفوا إلى هذا التأويل في خطاب الطفيليّ لسببيْن: يتّصل أوّلهما بخلوّ أذهانهم ممّا يدور في ذهن الطفيليّ. والثاني وليد عفو الخاطر. ويقوم القسم والحصر في خطاب أصحاب الغداء حجّتين تدعمان ما ذهبنا إليه.

وأُتي أصحاب الغداء من هذين السببيْن بالذات. فقد حشرهم الطفيليّ في فئة اللئام، وخلق لديهم وضعا ذهنيّا يقوم على المنع. فسارعوا إلى إخراج أنفسهم من فئة اللئام إلى فئة الكرام. فخلقوا وضعا ذهنيّا يقوم على الإباحة. فأوقعوا أنفسهم في الشرك الذي أعدّه لهم الطفيليّ.

ويعمد الطفيليّ أحيانا إلى نمط ثان من إستراتيجيّة التضليل، يقوم على الأعمال. ودونك الخبر التالي:

"حدّثني محمّد بن علي الجلّاب قال: جاء طفيليّ إلى عرس. فمُنع من الدخول. وكان يعرف أنّ أخا للعروس غائب. فذهب، فأخذ ورقة كاغد وطواها وسحّاها وختمها، وليس في بطنها شيء. وجعل العنوان من الأخ إلى العروس. وجاء، فقال: معي كتاب من أخي العروس إليها. فأُذن له، فدخل، ودفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما رأينا مثل هذا العنوان، ليس عليه اسم أحد. فقال: وأعجب من هذا أنّه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد، لأنّه كان مستعجلا. فضحكوا منه، وعرفوا أنّه احتال لدخوله، فقبلوه" (ص ١١٨).

تضخّمت حركة التضليل في هذا الخبر. وقد تقمّص الطفيليّ شخصيّة الرسول. وهي شخصيّة ليست من الأقارب والمدعوّين المعارف المسموح لهم بالدخول، أو النكرات الممنوعين من الدخول. ويمكن أن تتنزّل في ذهن البوّاب أو القائم مقامه في الوضع الذهنيّ الثالث القائم على الاستثناء.

ولّما كان الرسول نكرة اسما فإنّ احتمال منعه من الدخول أكبر من احتمال السماح له. وقد فطن الطفيليّ لهذه "الثغرة" –على حدّ عبارة توفيق بكّار[1] – في بناء حيلته. فجعل المرسل من الأقارب. ولّما كان الأقارب مسموحا لهم بالدخول فإنّ من اتّصل بهم أو بشّر بأخبارهم يدخل في حكمهم من جهة التعامل معه. وهو إن لم يكن من الأقارب المسموح لهم بالدخول أصالة فهو ليس من النكرات الممنوعين من الدخول مطلقا. وتسمح له هذه الصلة بالانزلاق من دائرة المنع إلى دائرة الاستثناء.

ولئن أفلح الطفيليّ في تضليل البوّاب أو القائم مقامه في الدخول فإنّ حيلته لم تنطل على أهل العرس لثغرتيْن في بناء حيلته: تتمثّل أولاهما في خلوّ العنوان من اسم

(١) توفيق بكّار، جدليّة المال والأقوال، ضمن **قصصيّات عربيّة**، ج ١، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١، ص ٦٢.

المرسل إليه. وقد لفتت هذه الثغرة انتباه أصحاب العرس. ولّما أدرك الطفيليّ أنّ أمره قاب قوسيْن أو أدنى من الانكشاف عجّل بكشف الثغرة الثانية بنفسه. وتمثّلت في خلو الرسالة من أيّ حرف. وعلّل ذلك بكون المرسل كان في عجلة من أمره. وقد ورّطت الثغرتان الطفيليّ، وكشفتا حيلته. وتكمن طرافة الخبر في أنّ أصحاب العرس لم يؤدّبوا الطفيليّ، وإنّما استطرفوا حيلته، وقبلوا به لما لمسوه فيه من لطف وظرف.

وأمّا النمط الثالث من إستراتيجيّة التضليل فيتمثّل في التضليل بالأحوال[1]. وإليك الخبر التالي:

"حدّثني محمّد بن علي بن عبيد الله الكرخي، قال: مُنع طفيليّ عن عرس، فذهب، فأخذ إحدى نعليه في كمّه، وعلق الأخرى بيده، وأخذ خلالا طويلا، فقطعه، وأخذ محلبا من عطّار، فلطخ به أصابعه، وجعل يتخلّل بذلك الخلال الطويل. ودنا من البوّاب كالمستعجل، فقال له: إنّي أكلت في الفوج الأوّل لشغل كان عليّ، ولاستعجالي أخذت فرد نعل ونسيت الآخر، فتفضّل بإخراجه لي، فقال البواب: أنا مشغول، ادخل فاطلبه لنفسك. فدخل، فأكل وخرج". (ص ١١٩).

آثر الطفيليّ في هذا الخبر أسلوبا مختلفا في التضليل. واتّخذ ثلاث هيئات متكاملة: تتّصل أولاها بتلطيخ الفم والتخلّل. ولهذه الهيأة مفعول حجاجيّ. إذ أوقعت في ذهن البوّاب أنّ صاحبها قد أصاب من الطعام حظّا. وتتّصل الهيأة الثانية بإخفاء إحدى النعليْن في الكمّ ومسك الأخرى باليد. ويتجلّى مفعولها الحجاجيّ في إيقاع التصديق في ذهن البوّاب بأنّ فرد النعل الثاني داخل المنزل لا محالة. وأمّا الهيأة الثالثة فتّتصل بالتظاهر بالاستعجال. ويتجلّى مفعولها الحجاجيّ في الضغط على ذهن البوّاب

(١) من أنواع الحيل في تصوّر فيسيلا جينوفا حيلة السلوك.

Vessela Guenova, La ruse dans le roman de Renart et dans les œuvres de François Rabelais, op. cit. p. 90.

وقصره على قبول الدعوى القاضية بأنّ فرد النعل الثاني داخل المنزل وليس في أيّ مكان آخر.

وقد حملت أحوال الطفيليّ تلك البوّاب على الاعتقاد أنّ مخاطبه من الأقارب أو المدعوّين المسموح لهم بالدخول. وأمّا الطفيليّ فيعلم أنّه من الممنوعين. وقد سبق منعه من الدخول. فتظاهر بهذه الهيئات الثلاث، وأحدث شرخا في ذهن البوّاب، انزلق بمقتضاه من الوضع الذهنيّ الأوّل القائم على المنع إلى الوضع الذهنيّ الثالث القائم على الاستثناء.

ورغم حرص الطفيليّ على التنويع في إستراتيجيّة التضليل من أجل النجاح في عمليّة التحصيل فإنّه يتعرّض للفشل في مناسبات عدّة. ومن الأمثلة على ذلك الأخبار الثلاثة التالية:

- الخبر ١: "قيلَ: أقبلَ رجلٌ إلى طعامِ نَبَطِيٍّ مِنْ غيرِ أن يُدعى إليه، فقال له النبَطِيُّ: مَنْ دعاك وأرسلَ إليك؟ فأنشأ يقول [البسيط]:

نَزوركُمْ لا نُكافِيكُم بجَفوتِكُم إنَّ المحبَّ إذا لم يُستزرْ زارا

فقال النبَطِيُّ: ليسَ أدرِي أبداً مَا هو زُرْزَارَا، اخرجْ من بيتي لحاكَ الله"[(١)].

- الخبر ٢: "دخل طفيليٌّ دار قوم بغير إذن، فاشتدّ عليه صاحب الدار في القول، فأغلظ له الطفيليّ في الجواب، وقال له: والله لئن قمت إليك لأدخلنّك من حيث خرجت. فقال صاحب المنزل: أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت، وأخذ بيده فأخرجه"[(٢)].

---

(١) ابن عاصم، **حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر**، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩، ص ٣٠٠.

(٢) ابن عبد البرّ، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس**، موسوعة الشعر العربيّ، =

- الخبر ٣: "أنبأنا الحسين بن محمّد الرافقي، أخبرنا علي بن محمّد بن السري، أخبرنا أحمد بن الحسن المقرئ، أخبرنا محمّد بن أحمد المقرئ، قال: عمل طفيليّ وليمة، فدخل عليه طفيليّان، فعرفهما، فأصعدهما إلى غرفة له حتى أطعم من أراد، ثم نزل بهما، فقال لهما: لا أصغر الله مشاكما. فأخرجهما ولم يأكلا من الطعام شيئا". (ص ١٢١).

تشترك هذه الأخبار في ثلاث سمات: تتّصل أولاها بغياب التضليل الأوّل. فجميع الطفيليّين المذكورين في هذه الأخبار أفلحوا في الدخول إلى حيث المكان الذي سيُقدّم فيه الطعام. ولم يصطدموا ببوّابين غلاظ شداد يمنعونهم الدخول ويحرمونهم الطعام. فلم يحتاجوا إلى الحيلة للإيقاع بالبوّابين.

وتتمثّل السمة الثانية في تضخّم التضليل الثاني. ففي الخبر الأوّل عمل الطفيليّ على الالتفاف على استنكار النبطيّ صاحب الوليمة. وجهر بدعوى مفادها أنّه جاء زائرا لما بينه وبين صاحب البيت من سابق مودّة. وساق من حجج الشاهد القوليّ بيتا شعريّا. وعمل الطفيليّ في الخبر الثاني على الظهور بمظهر العربيد المخيف ليجبر صاحب الدار على الإذعان له كرها لا طوعا. وأمّا الطفيليّان في الخبر الأخير فلمّا أدركا أنّ صاحب الوليمة قد رحّب بهما وأفرد لهما غرفة أمسكا عن الحيلة وأعرضا عن التضليل.

وتتّصل السمة الثالثة بانتهاء التضليل الثاني إلى الفشل بسبب ثغرة في بناء الحيلة. ففي الخبر الأوّل لم يفطن الطفيليّ للثغرة. وهي أنّ النبطيّ لا يفهم الشعر على النحو المطلوب، لا سيّما أنّ البيت الحجّة هيمن عليه صوت الزاي. فالتبست الأصوات

=

الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩، ص ٥٤.

في ذهن النبطيّ. وقصر به عقله عن إدراك المقصود. ولكنّه فطن لاستراتيجيّة الطفيليّ في التضليل. فأطرده شرّ طردة.

وتتجلّى الثغرة في الخبر الثاني في جهل الطفيليّ بالاعتبارات الخطابيّة. فقد تطاول على صاحب الدار أمام أهله وضيوفه. وانتهك وجهه السلبيّ. فأدرك صاحب الدار أنّ الحجاج مع الطفيليّ لن يكون مخصبا[1]، فثار في وجهه، وواجهه بخلاف ما قال، وأخرجه من حيث دخل. وأمّا الثغرة في الخبر الثالث فلا تتّصل بنقص في شخصيّة الطفيليّ وإنّما تتّصل بقوّة في شخصيّة صاحب الوليمة. فقد تبيّن أنّه طفيليّ خبير بحيل المتطفّلين بصير بأساليبهم في التضليل. ولعلّه شعر بالإهانة لّما فطن لرغبة الطفيليّيْن في تحويله من مضلِّل إلى مضلَّل. فثارت نازعة الثأر لديه، وضجّت الرغبة في صدره في الانتقام منهما وتحويلهما من مضلِّليْن إلى مضلَّليْن. فأفرد لهما غرفة لإيهامهما بأنّهما مبجّلان ويأمن ردّة فعل محتملة قد تفسد متعة الوليمة. ثمّ حرمهما الطعام والشراب قبل أن يطردهما مذموميْن مدحوريْن.

وقد خضعت الأعمال في أخبار الطفيليّين لضربيْن من المنطق متكاملين: منطق الطمع ومنطق الحيلة. ويمثّل منطق الطمع الخيط الناظم لجميع الأعمال. فالطفيليّ يكلّف نفسه عناء التنقّل إلى مكان الحفل أو الوليمة. فيخسر قدرا من طاقته البدنيّة. ثمّ يصدّه البوّاب صدّا غير رفيق لكونه من غير المدعوّين. فيعرّض عرضه للانتهاك. ثمّ

(١) يرى محمّد نجيب العمامي أنّ أحد شروط الحجاج المخصب الأساسيّة البحث عن وفاق أو، على الأقلّ، التوصّل إلى اتّفاق على عدم الاتّفاق.

محمّد نجيب العمامي، البعد الحجاجيّ في أقصوصة "القلعة" لجمال الغيطاني، ضمن **تحليل الخطاب السرديّ وجهة النظر والبعد الحجاجيّ**، كلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة – وحدة الدراسات السرديّة– ومسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١١٦.

يُفكّر في حيلة يخلص بها من مساءلة البوّاب. فيُجهد ذهنه أيّما إجهاد. وما كان الطفيليّ ليتحمّل كلّ هذا العناء لو لم يكن مدفوعا بنازعة الطمع.

ويتعزّز منطق الطمع بمنطق الحيلة. فالطفيليّ معرّض لعراقيل عدّة ومحن شتّى في سبيل الوصول إلى طلبته. فقد يصدّه البوّاب ويمنعه الدخول. وإن دخل في غفلة من البوّاب أو لم يجد بوّابا أصلا فقد يعبس في وجهه صاحب الوليمة وينهره. وإن تجاهله صاحب الوليمة طوعا أو كرها فقد يشهّر به أحد المدعوّين إدلالا على صاحب الوليمة بمحلّه منه.

ويتّضح أنّ الأعمال من جهة كونها مقوّما سرديّا تستمدّ طاقتها الحجاجيّة من خصائصها البنائيّة. فقد ارتبطت الأعمال المكوّنة للتضليل بالأعمال المكوّنة للتحصيل عن طريق عمل المحاجة. فأدّى التضليل من جهة كونه حجّة إلى التحصيل من جهة كونه نتيجة. وللتضليل أسّان: لغويّ وخطابيّ. فإذا كان التضليل لغويّا حصل تكامل بين كذب الخطاب وكذب الخطيب أو المتكلّم. وإذا كان التضليل خطابيّا حصل تناقض بين صدق الخطاب وكذب الخطيب. ولعلّ مظهر الحجاج في السرد، أي الحجاج من جهة أسسه اللغويّة وكونه عملا في القول، يكون أوضح في مستوى الشخصيّات.

تشكّل الشخصيّة حجاجيّا

إنّ شخصيّة الطفيليّ هي الشخصيّة الرئيسة في أخبار الطفيليّين. فهي الساعية إلى التطفيل والقائمة به. ورغم اندراجها في خطاب سرديّ تخييليّ، فإنّها من الواقع المرجعيّ في المجتمع العربيّ الإسلاميّ القديم بسبب مكين. وقد ساهمت تلك العوامل في بنائها حجاجيّا على نحو مخصوص. وقام هذا البناء على ستّة مكوّنات: التعيينيّ والمعرفيّ والانفعاليّ والقيميّ والمظهريّ والسلوكيّ.

يفيد التعيين تسمية الشخصيّة القائمة بالأعمال. وله قيم دلاليّة عدّة. فقد تُعيّن الشخصيّة تعيينا عامّا وثابتا، وقد يُعيّن مظهر منها أو خاصيّة فحسب. ويشير التعيين إلى وجهة نظر مّا، ويبني لدى المتلقّي تمثيلا مناسبا تقريبيّا للشخصيّة المعيّنة[١].

وتستمدّ عمليّة تعيين القائم بالتطفيل في أخبار الطفيليّين طاقتها الحجاجيّة من مصدريْن: يتّصل أوّلهما بالتعمية. وهي تمثّل المرحلة الأولى من التسمية. فقد دأب رواة أخبار الطفيليّين على إغفال اسم القائم بالتطفيل وحجبه، والاقتصار على الإشارة إليه بـ"طفيليّ"، وأحيانا بعبارة "رجل من هذه العصابة" (ص ١٧١)، ولا يذكر إلّا تلك الأسماء التي هي رؤوس التطفيل وأئمّته، نحو بُنان ونوح وابن درّاج. بل إنّ هذه الأسماء ذاتها غالبا ما يلحق بها المشتقّ "طفيليّ"، نحو بُنان الطفيليّ ونوح الطفيليّ وابن درّاج الطفيليّ (ص ١٢٣). ويتّصل المصدر الثاني بالعدول. ويمثّل المرحلة الثانية من التسمية. فرواة أخبار الطفيليّين يعدلون غالبا عن اسم القائم بفعل التطفيل إلى النسبة "الطفيليّ".

ولعمليّة التعيين مفعول حجاجيّ ذو أربعة وجوه: يتّصل أوّلها بما يترتّب على التعمية. فهي إيغال في تنكير القائم بفعل التطفيل، وإقصائه من دائرة الشخصيّات المعرفة. وفي تنكيره إنكار لفعل التطفيل ذاته، وإدراجه في الأفعال المذمومة القادحة في مروءة الإنسان. ويتّصل الوجه الحجاجيّ الثاني بالاقتضاء، ويرتبط بالعدول عن الصفة إلى الصفة أو النسبة[٢]. فالعرب تقول لمن يأتي الطعام من غير أن يُدعى إليه الوارش والرائش. وتقول لمن يأتي الشراب ولم يُدع إليه الواغل. وسرعان ما استغنت عن هذه

(1) Alain Rabatel, Argumenter en racontant, op. cit. p. 56.

(٢) يقول عبد الله صولة: "للكلمة المعوّضة زوائد دلاليّة تبني بعد الملفوظ الذي ترد فيه بناء حجاجيّا مخصوصا. ويكون لها فيه وقع معنويّ خاصّ ما كان لتحدثه فيه الكلمة المعوّضة".

عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة**، ج ٢، ص ٢٠٨.

الصفات واقتصرت على الطفيليّ. ولهذه التسمية دلالتان: تتعلّق أولاهما بالطفَل "وهو إقبال الليل على النهار بظُلْمته"[١]، والمعينم أو السمة الدلاليّة المستفادة معجميّا على وجه الاقتضاء، هي الغموض. ثمّ نُقل ذلك المعينم إلى من يأتي الطعام من غير أن يُدعى إليه، لكونه "يُظْلِمُ على القوم أَمرُه فلا يدرون مَن دَعاه ولا كيف دَخَل إليهم" (ص ٤٦). وتتعلّق الدلالة الثانية بطفيل، وهو "رجل من أهل الكوفة من بني غطفان، وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها، فكان يقال له طفيل الأعراس والعرائس" (ص ٤٦)، وهو، في رواية أخرى، "رجل من بني هلال يقال له طفيل بن زلال (ص ٤٨). والمعينم المستفاد على سبيل الاقتضاء، هو طلب الطعام على غير مجرى آدابه. ثمّ تحوّل المعينمان صفتيْن لازمتيْن في كلّ من يقوم بالتطفيل. وأصبحا من الحقائق المسلّم بها.

ويتّصل الوجه الحجاجيّ الثالث بالتقويم، ويرتبط بالعدول عن الاسم إلى الصفة أو النسبة. فالاسم العلم لا يقتصر على الإحالة على شخص مرجعيّ، فحسب، وليس فارغا من الدلالة، وإنّما هو في حالة امتلاء مستمرّ بمجموع الخصال والصفات التي يتميّز بها صاحبه. وهي تمثّل المعيّن الصلب[٢]. والعدول عن الاسم هو طيّ لذلك المعيّن الصلب ولجميع الصفات التي تكوّنه، لتعويضه بالمعيّن الصلب الجديد المستمدّ من الصفة أو النسبة المعدول إليها.

ويفيد المشتقّ "طفيلي" سواء أكان صفة متّصلة بـ"طَفل" أو نسبة إلى "طُفيل" حكم قيمة أخلاقيّ. فهو يبئّر في شخصيّة الطفيليّ قيمتيْن: الغموض، والفضول. وهما رذيلتان وقيمتان من القيم السلبيّة والمذمومة في عالم خطاب الشخصيّات في أخبار

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩، ص ١١٨٠٥.

(2) Alain Rabatel, Argumenter en racontant, op. cit. p. 55.

الطفيليّين، وتؤدّيان إلى تقبيح الطفيليّ باختزاله في قيمتيْن سلبيّتيْن. ويتعزّز هذا المفعول الحجاجيّ بما يترتّب على التقويم الأخلاقيّ من توجيه لعمل الشخصيّات. فهي ستنفر ضرورة من التطفيل والطفيليّين.

ويتجلّى الوجه الحجاجي الرابع في التعميم. ففي عدول راوي الخبر عن تعيين القائم بالتطفيل بالاسم إلى تعيينه بالصفة أو النسبة عدول عن الخاصّ إلى العامّ. فمرجع الطفيليّ في الخبر هو السياق المقاليّ، ولكن مرجعه المقاميّ هو خارج الخبر. فتصبح النسبة "طفيليّ" شكلا فارغا يملؤه كلّ من يقوم بفعل التطفيل في كلّ عصر ومصر.

ويشكّل المكوّن المعرفيّ الجانب الثاني من بنية شخصيّة الطفيليّ الحجاجيّة. ويتّصل ببنيته الذهنيّة. فالطفيليّ ذات تواصليّة[1] و"كائن مفكّر"[2]، ويظهر ذلك في أفكاره وأقواله التي ترافق أعماله. وقد تشكّل ذهنه تشكيلا اتّسم بثلاث سمات: تتجلّى أولاها في الاشتغال الاستعاريّ. فالطفيليّ يستعير تجربته مع العالم والأشياء من حوله ليفهم بها تجربته مع الولائم. يقول بُنان الطفيليّ: "فإذا أتاه [الطفيليّ] خبر لمجمع يضمّهم أو مأدبة تعمّهم ضرب إليها أعقاب إبله وأنضى حولها مطايا خيله، وحمل عليها حملة الحوت الملتقم والثعبان الملتهم والليث الهاصر والعقاب الكاسر" (ص ١٧٠).

لقد استعار بنان تجربة الإنسان مع أكثر الدوابّ تحمّلا لمشاق السفر الطويل، وأشدّ الحيوانات والطيور المفترسة ضراوة في الهجوم على طرائدها والفتك بها ليفهم

(1) Claude Chabrol, La question de la réception et de l'interprétation dans l'analyse du discours, in L'analyse de discours sa place dans les sciences du langage et de la communication, P.U.R, 2015, p. 48.

(2) Alain Rabatel, Argumenter en racontant, op. cit. p. 73.

بها التجربة مع الطعام من جهات السرعة وتحمّل المشاقّ إليه، والإقبال عليه بنهم وشراهة.

وتتّصل السمة الثانية بالمرجعيّة العرفانيّة في ذهن الطفيليّ. فالطعام هو المرجعيّة العرفانيّة التي يحتكم إليها الطفيليّ. فقد "قيل لطفيليّ: كم اثنان في اثنين؟ قال: أربعة أرغفة" (ص ١١٤). فالطفيليّ يستند في علمه إلى مرجعيّة ذهنيّة واحدة هي الطعام. فالطعام هو "المركز الذهنيّ المرجعيّ"[١] الذي يعود إليه الطفيليّ لتفسير العالم وإدراك الأشياء من حوله والتفاعل معها.

وأمّا السمة الثالثة فتتّصل بموضوع الاشتغال. فذهن الطفيليّ يشتغل في اتّجاه واحد يتمثّل في التضليل من أجل التحصيل. فهو يعلم أنّه منبوذ مدحور علمَه أنّ إظهار الحرص على الطعام معرّة، وعلمه أنّ في إتيان الموائد دون دعوة ذهاب مروءته. فيلتجئ إلى الحيلة للتلبيس وتجاوز تلك المعرقلات وشبهها. والحيلة في ذاتها مطلب محمود لكونها ذكاء مقنّعا[٢]. ومتى اقترنت بالفضيلة أصبحت حزما وعلما ومروءة. ولكنّ الطفيليّ لا يعنيه من الحيلة مظهر الذكاء فيها بقدر ما يعنيه مظهر النجاعة[٣] في الوصول إلى الطعام. ولا يصل الطفيليّ الحيلة بالفضيلة، وإنّما يصلها بالطمع،

---

(١) العبارة لعبد الله صولة.

عبد الله صولة، أثر نظريّة الطراز الأصليّة في دراسة المعنى، **حوليّات الجامعة التونسيّة**، ع ٤٥، ٢٠٠١، ص ٢٥٩.

(٢) أبو العزيز إسماعيل الجزري، **الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل**، تحقيق أحمد يوسف الحسن، معهد التراث العلميّ العربيّ، جامعة حلب، ١٩٧٩.

(٣) الحيلة طريق أو آلة يستعملها العقل.

السياسة والحيلة عند العرب رقائق الحلل في دقائق الحيل، ص ٢٣.

ويجعلها وسيلة لإشباع نهمه. ومتى اقترنت الحيلة بالرذيلة أصبحت دهاء وتضليلا. فالطفيليّ داهية مضلّل.

وتشتغل هذه الصورة الثانية المتّصلة ببنية الطفيليّ الذهنيّة حجاجيّا من خلال طريقة الطفيليّ في فهم العالم والأشياء من حوله وكيفيّة التفاعل معها. ويتّصل مفعولها الحجاجيّ باستدراج الشخصيّات الأخرى إلى تنزيل الطفيليّ منزلة النموذج[1] الذي يُقتدى به.

وينتشر المكوّن المعرفيّ ليؤثّر في سائر المكوّنات ويوجّهها. ومنها المكوّن الانفعاليّ، وهو المكوّن الثالث. ويتجلّى في بنية الطفيليّ الوجدانيّة. فقد هيمن حبّ الطعام على جميع نوازع الطفيليّ، وتمكّن منه واستفحل. فقد "قيل لبعض الطفيليّين: أتحبّ أبا بكر وعمر؟ قال: ما ترك الطعام في قلبي حبّا لأحد" (ص ١١١). ومتى كان الطفيليّ معشوقا لم يبال بالهجر والوصال بقدر مبالاته بما تجود به العاشقة من ألوان الطعام. بل تراه يجسّر الصلة بين العشق ومعدته، نحو ذلك الطفيليّ الذي أكثر من طلب الطعام من جارية كان يتعشّقها. "فكتبت إليه: أبقاك الله وحفظك، رأينا الحبّ يكون في القلب، فإذا فشا دبّ في المفاصل، وحبّك ما يزول المعدة، وأراك طفيليّا تتأكّل بالعشق". (ص ص ٧٧ -٧٨).

وتشتغل هذه الصورة النفسيّة التي تتضافر أخبار الطفيليّين في بنائها لشخصيّة الطفيليّ حجاجيّا من خلال إبراز الطفيليّ منهزما أمام أهوائه منساقا وراء غريزة الأكل، لا يكاد يخلص من حيوانيّته. ويتّصل مفعول هذه الصورة الحجاجيّ بذمّ الطمع

(1) Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Éditions de l'université de Bruxelles, 6ème édition, Bruxelles, ٢٠08, p. 485.

لكونه مهلكا أصحابه، والنفور مّمن قصّر همّته على إشباع معدته، على نحو نفور الجارية من عشيقها الطفيليّ.

ويمثّل المكوّن القيميّ مظهرا مختلفا من مظاهر تشكّل شخصيّة الطفيليّ حجاجيّا. وهو انتشار مختلف للمكوّن المعرفيّ. فحبّ الطعام يعمي بصيرة الطفيليّ. وما عادت تعنيه من الفضائل غير فضيلة الصلة وما يترتّب عليها من زيارة. وهو يمارس هذه الفضيلة في اتّجاه واحد يكون فيه هو الزائر والحريص على إحياء الصلة.

وتشتغل هذه الصورة الثالثة المتّصلة ببنية الطفيليّ القيميّة حجاجيّا بإفراغ الطفيليّ من كلّ قيمة إيجابيّة وبملئه بقيم الخنوع والهزيمة والانكسار. ولهذه الصورة مفعول حجاجيّ يتجلّى في نفور الشخصيّات من التطفيل وما يرمز إليه الطفيليّ من رذائل.

ويمثّل المكوّن المظهريّ المكوّن الخامس في بناء شخصيّة الطفيليّ حجاجيّا. وهو نتيجة للمكوّن المعرفيّ. فالطفيليّ حريص على جمال الملبس وأناقة المظهر. وبنان الطفيليّ كان يلبس في الولائم القلنسوة السوداء الطويلة والطيلسان الأخضر. وكان جار الجهضمي طفيليّا "من أحسن الناس منظرا، وأعذبهم منطقا، وأطيبهم رائحة، وأجملهم لباسا" (ص ١٢٦). "

ووراء جمال صورة الطفيليّ ما وراءها. فهو لا يحرص على ذلك من أجل أناقة المظهر في ذاتها، وإنّما هي مرحلة أولى من استراتيجيّة محكمة البناء للوصول إلى الولائم. وتقوم صورة الطفيليّ المظهريّة على التحسين والتجميل، فيسبق في ظنّ من يراه أنّه قد حاز نصيبا من الفضائل من شأنه أن يثير الإعجاب. ولكنّ مقاصد الطفيليّ من جمال المظهر جعل صورته زائفة، تنحصر وظيفتها في تضليل المولم والمدعوّين على السواء، وللظفر بنصيب من الوليمة. ويحمل هذا التناقض بين المظهر والمخبر في

شخصيّة الطفيليّ على عدم التسليم بكلّ ما يقوله ويفعله، والنفور منه، والإعراض عنه.

وأمّا المكوّن السلوكيّ فيمثّل المظهر السادس من مظاهر بناء شخصيّة الطفيليّ حجاجيّا. وهو بدوره نتيجة للمكوّن المعرفيّ. فلمّا تقدّم في علم الطفيليّ أنّه مذموم مدحور، وترسّخ في ذهنه أنّه مطارَد ومُفرد إفراد البعير المعبّد، جُبل على انتظار الشرّ في كلّ آونة وحين، تراه يهاب الجميع، ويحترس منهم، ويعمل على عدم إثارة انتباههم، ويسترق النظر استراقا، ويتحيّن الفرص تحيّنا. فهو يخفي في ذاته شخصيّة الجاسوس، فيقصر بياض يومه وسواد ليله على تنسّم أخبار الولائم. ويراقب في الأسواق خلسة من يشتري لوازم الولائم، ويتبعه متنكّرا إلى حيث مكان الوليمة. ويستعلم متنكرا موعدها. ثمّ يختفي في شخصيّة المدعو أو من لا يجوز منعه من الدخول. فيضلّل البوّاب. ثمّ يختفي في شخصيّة الحريص على إحياء الصلة. فيضلّل صاحب الوليمة. ويختفي أحيانا في شخصيّة المشرّع لحضور الولائم أو العالم بآدابها. فيضلّل الحاضرين[1] (ص ص ١٢٦ -١٢٧).

وتشتغل هذه الصورة المتّصلة بسلوك الطفيليّ حجاجيّا بربط كلّ لون من ألوان سلوك الطفيليّ بالولائم وما قرّب إليه من قول وعمل، وإبراز نهم الطفيليّ وحرصه المفرط على أن يضرب في الطعام ضرب وليّ سوء في مال اليتيم. وينحصر مفعول هذه الصورة الحجاجيّ في تقزيم الطفيليّ، وتنفير الشخصيّات من أساليبه في التواصل معهم.

(١) ترى غرينشباون أنّ مشاعر تختفي خلف خطاباتنا وحركاتنا وسلوكنا مختلفة تماما عن تلك التي نظهرها.
Marie-France Grinschpoun, L'analyse de discours, Donner du sens aux dires, Entrick B. Éditions, 2ème édition, Paris, 2013, p. 42.

شكّلت جميع تلك المكوّنات شخصيّة الطفيليّ تشكيلا حجاجيّا. ولئن كان لبعض المكوّنات مفعول إيجابيّ نزّل الطفيليّ منزلة القدوة، ومكّنه من حمل غيره على الاقتناع بأقواله وأفعاله، أو يبدو أنّهم اقتنعوا بذلك، فإنّ أغلب المكوّنات الأخرى كان لها مفعول سلبيّ جعل الشخصيّات تنفر من الطفيليّ وتعرض عن التطفيل. ولعلّ المظاهر الحجاجيّة في بنية الشخصيّة تتعزّز بما في بنية المكان من مظاهر حجاجيّة مختلفة.

تشكّل المكان حجاجيّا

خضع تشكّل المكان حجاجيّا في أخبار الطفيليّين لنظاميْن متقابليْن: الحضور والحجب. يتمثّل الحضور في الإشارة إلى بعض الأمكنة التي دارت فيها الأعمال. وقد ورد المكان عامّا وخاصّا: يشير المكان العامّ إلى البيت الذي يوجد فيه الطعام، نحو قول أحد الطفيليّين: "شممت من جناح أبازير[1] قدور قد فاح طيبها" (ص ٩٠). ويشير المكان الخاصّ إلى موضع الطعام. نحو قول أحد الطفيليّين: "ثمّ صرنا إلى منزل المنادمة. فإذا أشكل منزل" (ص ٩١).

والمكان أصناف ثلاثة حسب تشكّله الحجاجيّ: يتمثّل أوّلها في تنزيل الأمكنة في سلّم تفاضليّ حسب مفهوم الطراز[2]. فقد "قال طفيليّ: خير البقاع ثلاثة: دكّان الروّاس والشوّاء والهرّاس" (ص ١١٠). والطراز في مقولة المكان في قول الطفيليّ هو الدكاكين التي يعدّ أصحابها رؤوس الذبائح أو الشواء أو الهريسة. وهي لا تتنزل من كلّ الأمكنة منزلة الطراز لكونها توفّرت على جميع الشروط الضروريّة والكافية

(١) التوابل.

(٢) إنّ الطراز في نظريّة الطراز الأصليّة في علم الدلالة العرفانيّ عند إليانور روش هو العنصر الأكثر تمثيلا لعناصر المقولة كلّها.

Georges Kleiber, La sémantique du prototype Catégories et sens lexical, PUF, 2ème édition, Paris, 1990, p. 21.

حسب المنوال المنطقيّ عند أرسطو في تصنيف عناصر المقولة، وإنّما لكونها تختصّ بوجود الطعام في كلّ وقت. فهذا الوجود هو الشرط الضروريّ والكافي لأطرزة المكان.

ويتمثّل النوع الثاني من التصنيف في تنزيل الأمكنة في سلّم تفاضليّ حسب قانون المجهود الأدنى. فقد "سئل عبّاس المطفّل: أيّ شيء أحبّ إليك أن يتّفق؟ فقال: دعوة قريبة في يوم مطير" (ص ١١١). فمكان الدعوة القريب أفضل الأمكنة بالنسبة إلى الطفيليّ لكونه لا يكلّفه بذل الجهد في الوصول إلى مكان الدعوة.

وأمّا التصنيف الثالث فيتمثّل في تنزيل الأمكنة في سلّم تفاضليّ حسب قانون النفع[1]. وإليك الأمثلة التالية:

- المثال ١: "نزل بعض أهل البصرة على مدينيّ، وكان صديقا له، فألحّ على المدينيّ بطول المقام، فقال المدينيّ لامرأته: إذا كان غدا، فإنّي أقول لضيفنا: كم ذراعا تقفز؟ فأقفز أنا من العتبة إلى باب الدار، فإذا قفز الضيف أغلقي الباب خلفه. فلمّا كان من الغد، قال له المدينيّ: كيف قفزك يا أبا فلان؟ قال: جيّد، قال: فوثب المدينيّ من داخل منزله إلى خارج الدار أذرعا، فقال له: ثب. فوثب إلى داخل الدار ذراعين، فقال له: أنا وثبت إلى خارج الدار أذرعا، وأنت وثبت إلى داخل الباب ذراعين؟ قال: ذراعين إلى الداخل خير من أربعة إلى برّا" (ص ص ٦٩ -٧٠).

- المثال ٢: ورد في وصيّة بنان في تخيّر المواضع ما يلي: "إذا دعاك صديق لك فاقعد يُمنة البيت، فإنّك ترى كلّ ما تحبّ، وأنت تسودهم في كلّ شيء، وتسبقهم

(١) ينصحنا مبدأ المنفعة أن نختار، في أيّ مرة تواجهنا أزمة، المسلك الذي يسمح لنا بأكبر قسط من السعادة وأقلّ قدر من التعاسة.

توماس أوكونور سلوان، **موسوعة البلاغة**، ترجمة نخبة، إشراف وتقديم عماد عبد اللطيف، ج ٣، المركز القوميّ للترجمة، ط ١، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٥٣٨.

إليه، وأنت أوّل من يغسل يده، والخوان بين يديك، وأوّل القنّينة أنت تشربه، والبقل الجيّد يوضع قدّامك، وأوّل من يتبخّر أنت، وإذا خرجت إلى الخلاء لا تحتاج إلى أن تتخطّاهم ذاهبا وجائيا. وأنت في كلّ سرور حتى تنصرف" (ص ١٥٢).

- المثال ٣: ورد في وصيّة بعض الطفيليّين لغلامه ما يلي: "وإذا قعدت على مائدة وكان موضعك ضيّقا، فقل للذي إلى جانبك: يا أبا فلان، لعلّي قد ضيّقت عليك. فإنّه يتأخّر إلى خلف، ويقول: سبحان الله، لا والله، موضعي واسع. فيتّسع عليك موضع رجل" (ص ١٣١).

رتّب الطفيليّ الأمكنة من خلال هذه الأمثلة حسب قانون النفع. والنفع في مفهوم الطفيليّ مرتبط بالمسافة والكيف. وتتجلّى المسافة في المفاضلة بين داخل الدار وخارجها. فداخل الدار أقرب مسافة إلى الطعام من خارج الدار. ويتجلّى الكيف في المجلس، وهو على وجهيْن: يتّصل الوجه الأوّل بموضع القعود في المجلس. فالقعود يمنة الباب أفضل المواضع قبل الطعام أو بعده لما في ذلك من منافع عدّدها الطفيليّ في وصيّته. ويتّصل الوجه الثاني بموضع القعود حول المائدة. فالموضع الواسع أفضل من الموضع الضيّق. ويتيح اتّساع موضع الجلوس للطفيليّ التمكّن من المائدة. وهو مطلب أساسيّ من مطالب الطفيليّ، وأحد أبرز إستراتيجيّاته لتأمين أسباب الوصول إلى الطعام، والسيطرة على كلّ ما قُدّم من ألوانه. فقد قال بنان الطفيليّ: "التمكّن على المائدة خير من زيادة أربعة ألوان" (ص ١٤٣).

وسواء أكان المكان عامّا أم خاصّا فإنّ تشكّله الحجاجيّ اقترن بحضور الطعام. ويستمدّ المكان طاقته الحجاجيّة من التعميم. فلا وجود لمقولة المكان في ذهن الطفيليّ بمعزل عن الطعام. فحيثما يوجد الطعام يوجد وعي الطفيليّ بالمكان، حتّى إن كان المكان جهنّم. فقد "قال أبو عمرو الطفيليّ: سمعت أستاذي يقول في قول الله تعالى:

"ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ" (الصافات / ٦٨)، قال: الأكل من الحاصل" (ص ص ١٠٩ -١١٠. ويرتبط السبب الثاني بمبدإ من مبادئ الطفيليّين ورد في صيغة النهي: "لا تمش إلى موضع لا تمضغ فيه شيئا" (ص ١١٠).

وللمكان مفعول حجاجيّ يتّصل بمفهوم "الحضور". فالطفيليّ يُحضر في الواجهة الأماميّة من وعي الشخصيّات المكان مقترنا بالطعام دون غيره من الأمكنة. فيحملهم على الاقتناع بقيمة الأمكنة التي يتوفّر فيها الطعام، وفساد الأمكنة الأخرى.

ويتمثّل النظام الثاني الذي خضع له تشكّل المكان حجاجيّا في التعمية والحجب. ويتجلّى الحجب في إقصاء المكان وعدم الإشارة إليه[1]. وقد تواتر ذلك في عدّة أخبار. ويجد غياب المكان في أخبار الطفيليّين مبرّره إنشائيّا في كون الخبر الأدبيّ من الأشكال البسيطة التي تكون أقلّ تمركزا في الفضاء[2]. ولكنّ هذا الغياب لا يخلو من حجاجيّة. فهو يستمدّ طاقته الإقناعيّة من اختزاله في أحد لوازمه، أي الطعام. وحضور الطعام بالفعل هو حضور للمكان بالقوّة، ويؤدّي غياب الطعام إلى غياب المكان وجوبا. ولغياب المكان مفعول حجاجيّ يتمثّل في تضخيم قيمة الطعام وهيمنتها على قيمة المكان. ولعلّ تشكّل المكان حجاجيّا يتعزّز بحجاجيّة تشكّل الزمن.

تشكّل الزمن حجاجيّا

لا يختلف تشكّل الزمن حجاجيّا في أخبار الطفيليّين عن تشكّل المكان، إذ يقوم بدوره على نظاميْ الحضور والحجب. ويتجلّى الحضور في تواتر عدّة إشارات زمانيّة في مواضع مختلفة. ويمكن تصنيفها صنفيْن: ينزع الصنف الأوّل إلى الإطلاق نحو قول طفيليّ: "فإنّي دخلت يوما إلى بعض الولائم" (ص ١٣٢). وأمّا الصنف الثاني من

(١) إذا كانت الأمكنة والأزمنة غير محدّدة فإن المرجع يمكن بناؤه بطرق مختلفة، منها الإطلاق.
Carole Tisset, Analyse linguistique de la narration, op. cit. p. 22.
(2) André Jolles, Formes simples, Seuil, 1972, p. 59.

الإشارات الزمانيّة فينزع إلى ضرب من التدقيق، نحو قول طفيلي آخر: "وقعدت عندهم إلى العصر" (ص ٩٩).

ويخضع الزمن في تشكّله الحجاجيّ لتصنيف تتنزّل بمقتضاه الأزمنة في سلّم تفاضليّ حسب قانون النفع. ودونك الأمثلة التالية:

- المثال ١: "سئل عبّاس المطفّل: أيّ شيء أحبّ إليك أن يتّفق؟ فقال: دعوة قريبة في يوم مطير" (ص ١١١).

- المثال ٢: "كان رقبة يقعد في المسجد، فإذا أمسى بعث جلساءه من جيران المسجد، فيأتي كلّ رجل منهم من منزله بطرفة، فيأكل، ثم يقول: ليت الليل كان سرمدا إلى يوم القيامة" (ص ٨٤).

- المثال ٣: "أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد الوكيل، أخبرنا إسماعيل بن سعيد المعدّل، أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: قال لنا أبو العباس - يعني المبرد -: ضاف رجل قوما، فكرهوه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا بعلم مقدار مُقامه؟ قالت: ألق بيننا شرّا حتى نتحاكم إليه، ففعلا، فقالت للضيف: بالذي يبارك لك في غدوّك، أيّنا أظلم؟ فقال الضيف: والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرا، ما أعلم" (ص ٦٩).

إنّ أفضل الأزمنة عند الطفيليّ في المثال الأوّل هو اليوم المطير. ولكنّ الطفيليّ يقيّد هذا الحكم المطلق، فيربط اليوم المطير بالنفع المتمثّل في الدعوة القريبة. فما لم يكن هناك شرط المنفعة، أي الدعوة القريبة، يصبح اليوم المطير كسائر الأيّام. وأمّا أفضل الأزمنة في المثال الثاني فهو الليل، لكونه مقترنا كذلك بالنفع المتمثّل في تحصيل الطعام. وحمل هذا الاقتران الأعرابيّ على تمنّي زوال الأزمنة الأخرى لأنّه لا يطعم فيها شيئا.

وعلى هذا النحو كانت رؤية الطفيليّ في الخبر الثالث للزمن. فتمنّى أن يطول زمان الإقامة لأنّه مقترن بمنفعته.

ويستمدّ الزمن سواء أكان مطلقا أم مقيدا قوّته الإقناعيّة من التعميم شأنه شأن المكان. فلا وجود للزمن في وعي الطفيليّ بمعزل عن الطعام. فزمن الطعام هو كلّ الأزمنة، والزمن الذي لا يطعم فيه الطفيليّ شيئا هو اللازمن. وقد تحوّل الطعام أداة يقيس بها الطفيليّ مقدار سيلان الزمن. فهذا أحد الطفيليّين يقول: "انتظرته مقدار ما يأكل إنسان رغيفا" (ص ١١٤).

وللزمن مفعول حجاجيّ يتمثّل في الحضور. فالطفيليّ يعمل على إحضار الزمن مقترنا بالطعام في الواجهة الأماميّة من وعي الشخصيّات التي يتفاعل معها. فيحملها على الاقتناع بأفضليّة الأزمنة التي يتوفّر فيها الطعام، وفساد الأزمنة الأخرى.

ويتجلّى نظام الحجب في تشكّل الزمن حجاجيّا في انعدام الإشارات المحيلة إلى زمن الأعمال في عدّة أخبار. ويستمدّ حجب الزمن طاقته الإقناعيّة من ارتباطه الوثيق بالطعام. فقيمة الزمن مختزلة في قيمة الطعام. ومتى وُجد الطعام وُجد الوعي بالزمن. ولحجب الزمن مفعول حجاجيّ يتجلّى أساسا في ترسيخ قيمة الطعام في وعي الشخصيّات الأخرى لحملها على الاقتناع بمذهب الطفيليّ في كون الطعام هو المركز الذهني العرفانيّ الذي يمكّن الإنسان من إدراك الزمن، وفهم العالم من حوله والتفاعل معه.

الخاتمة

يتّضح أنّ تشكّل الحكاية في أخبار الطفيليّين قد اتّخذ مظهرا حجاجيّا ذا أسس لغويّة في مختلف مقوّماتها. وتجلّى هذا المظهر في البنية الحدثيّة. فهي بنية ثنائيّة تتكوّن من التضليل والتحصيل. وارتبط المكوّنان عن طريق عمل المحاجّة. فورد التضليل حجّة، وورد التحصيل نتيجة. وقد تضخّم التضليل وهيمن إلى درجة يمكن الحديث فيها عن بلاغة التضليل[١].

وتمثّل المظهر الحجاجيّ اللغويّ في مستوى الشخصيّات في بنية شخصيّة الطفيليّ. فقد تشكّلت تشكيلا حجاجيّا في جميع مكوّناتها. وساهم ذلك التشكّل في جعل الطفيليّ نموذجا اقتدى به من آمن بمذهبه من الشخصيّات وصدّق، ونفر منه من كذّب به وتولّى. وأمّا في مستوى الأمكنة ومستوى الأزمنة فقد تمثّل المظهر الحجاجيّ اللغويّ في بنيتيهما وتصنيفها في سلالم تفاضليّة، طرفها الموجب وجود الطعام مع سهولة الوصول إليه، وطرفها السالب انعدام الطعام.

ولئن جعل اقتران التطفيل بالتضليل الطفيليّ في الثقافة العربيّة الإسلاميّة أصلا والمكدّي شبها به، فإنّه جعله نظيرا للسفسطائيّ في الثقافة الإغريقيّة. فقد اشترك الطفيليّ والسفسطائيّ في مقصد التغليط والتضليل، واختلفا في الوسيلة. فالطفيليّ يعوّل أساسا على التناقض بين صدق الخطاب وسوء نيّة، ويعوّل السفسطائيّ على صدق صورة القياس الفاسد[٢] وفساد مادّته.

(1) Herman Parret, Les arguments du séducteur, in L'argumentation, Mardaga, 1991, p. 207.

(2) Aristote, Les réfutations des sophistes, Librairie Philosophique Vrin, 2002, Paris, p. 15.

وعلى هذا النحو يصبح للنصّ السرديّ تشكّل حجاجيّ مميّز في مستوى مقوّمات الحكاية. فيتحوّل مركز الثقل في العلاقة بين الحجاج والسرد، في مستوى المقوّمات الحكائيّة، من الحجاج بالسرد أو وظائف السرد الحجاجيّة البلاغيّة ذات الأسس التداوليّة إلى الحجاج في السرد ذي الأسس اللغويّة. ولعلّ ذلك يفتح جدولا بحثيّا جديدا يدرس الحجاج في السرد أو الحجاج من منظور لغويّ في مستوى الخطاب.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر:

[١] الأمويّ (الخطيب)، **روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار الجامعة لفنون الآداب**، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩.

[٢] البغداديّ (الخطيب)، **التطفيل وحكايات الطفيليّين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم**، الجفّان والجابي للطباعة والنشر، (د. ت).

[٣] ابن عاصم (أبو بكر)، **حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر**، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩.

[٤] ابن عبد البرّ (يوسف)، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس**، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩.

المراجع

المراجع العربيّة

[٥] أوكونور سلوان (توماس)، موسوعة البلاغة، ترجمة نخبة، إشراف وتقديم عماد عبد اللطيف، ج ٣، المركز القوميّ للترجمة، ط ١، القاهرة، ٢٠١٦.

[٦] بكّار (توفيق)، جدليّة المال والأقوال، ضمن قصصيّات عربيّة، ج ١، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١.

[٧] الجزري (أبو العزيز إسماعيل)، الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل، تحقيق أحمد يوسف الحسن، معهد التراث العلميّ العربيّ، جامعة حلب، حلب؟ ١٩٧٩.

[٨] صولة (عبد الله)، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، ج ١، جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١.
[٩] أثر نظريّة الطراز الأصليّة في دراسة المعنى، حوليّات الجامعة التونسيّة، ع ٤٥، ٢٠٠١.
[١٠] طرشونة (محمود)، الهامشيّون في ألف ليلة وليلة، ضمن القطاع الهامشيّ في السرد العربيّ، دار البيروني للنشر، ١٩٩٤.
[١١] العمامي(محمّد نجيب)، البعد الحجاجيّ في أقصوصة "القلعة" لجمال الغيطاني، ضمن تحليل الخطاب السرديّ (وجهة النظر والبعد الحجاجيّ)، كلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة – وحدة الدراسات السرديّة - ومسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان، ط ١، ٢٠٠٩.
[١٢] كحّولي(محمّد الناصر)، الحجاج المغالطيّ في أدب الأخبار، مجلّة جذور، العدد ٤٦، أفريل، ٢٠١٧.
[١٣] مؤلّف مجهول، السياسة والحيلة عند العرب رقائق الحلل في دقائق الحيل، تحقيق رنيهخوام، دار الساقي، اندن، ١٩٨٨.
[١٤] المبخوت (شكري)، نظريّة الحجاج في اللغة، ضمن أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، منشورات كلّيّة الآداب منّوبة، تونس، ١٩٩٨.
[١٥] الاستدلال البلاغيّ، دار المعرفة للنشر وكلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات بجامعة منّوبة -وحدة البحث في "تحليل الخطاب"، ط ١، تونس، ٢٠٠٦.
[١٦] مشبال (محمّد)، الحجاج والتأويل في النصّ السرديّ عند الجاحظ، نشر مشترك، ط ١، ٢٠١٥.
[١٧] ابن منظور(جمال الدين)، لسان العرب، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩.

المراجع الأجنبيّة

[18] Adam (Jean-Michel), Le texte narratif, Nathan, Paris, 1985.

[19] Amossy (Ruth), L'argumentation dans le discours, ARMOND COLIN, Paris, 2013.

[20] Anscombre (Jean-Claude) et Ducrot (Oswald), L'argumentationdans la langue, Editions Mardaga, 1997.

[21] Aristote,

[22] Rhétorique, trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991.

[23] Les réfutations des sophistes, Librairie Philosophique Vrin, Paris, 2002.

[24] Bex (Floris) and Bench-Capon (Trevor), Arguingwith stories, in Narration as argument, Springer International Publishing AG, 2017.

[25] Boyer (Alain), Discourir et argumenter, in L'argumentation, CNRS, Paris, 2011.

[26] Breton (Phlippe), L'argumentation dans la communication, La Découverte, Paris, 1996.

[27] Chabrol (Claude), La question de la réception et de l'interprétation dans l'analyse du discours, in L'analyse de discours, P.U.R, 2015.

[28] Florea (Ligia Stela), Pour une approche linguistique et pragmatique du texte littéraire, Editions eliteratura, Bucarest, 2015.

[29] Gracio (Rui Alexendre), Du discours argumenté à l'interaction argumentative, in La rhétorique, Les Essentiels d'Hermès, CNRS Editions, Paris, 2012.

[30] Grinschpoun (Marie-France), L'analyse de discours, Donner du sens aux dires, Entrick B. Éditions, 2ème édition, Paris, 2013.

[31] Guenova (Vessela), La ruse dans le roman de Renart et dans les œuvres de François Rabelais, Paradigme, Orléans, 2003.

[32] Kleiber (Georges), La sémantique du prototype Catégories et sens lexical, PUF, 2ème édition, Paris, 1990.

[33] Martin (Frank), Cultures orientales de la ruse Hébreux Grecs et Arabes, L'Harmattan, Paris, 2013.

[34] Mathieu-Gastellani (Gisèle), La rhétorique des passions, P.U.F, Paris, 2000.

[35] Meyer (Bernard), Maîtriser l'argumentation, Armand Colin, Paris, 1996.

[36] Jolles (André), Formes simples, Seuil, 1972.

[37] Parret (Herman), Les arguments du séducteur, in L'argumentation, Mardaga, 1991.

[38] Perelman (Chaim) et Tyteca (Lucie Olbrechts), Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Éditions de l'université de Bruxelles, 6ème édition, Bruxelles, 2008.

[39] Rabatel (Alain), Argumenter en racontant, Editions De BoeckUniversité, Bruxelles, 2004.

[40] Raccah (Pierre-Yves), Racines lexicales de l'argumentation : la cristallisation des points de vue dans les mots, Verbum, n° 32, 2011.

[41] Sperber (Dan) et Wilson (Deudre), La pertinence Communication et Cognition, Minuit, Paris, 1989.

[42] Tisset (Carole), Analyse linguistique de la narration, Sedes, Paris, 2000.

[43] Weinrich (Harald), Linguistique du mensonge, traduit de l'allemand par Hélène Lucas, Limoges Lambert-Lucas, 2014.

[44] Wolff (Francis), Argumentation et technique de vérité, in L'argumentation, CNRS, Paris, 2011.

المراجع الإلكترونيّة

[45] * Rabatel (Alain), Pour une reconception de l'argumentation à la lumière de la dimension argumentative des discours, in journals .openedition. org/aad/2493 ; DOI : 10.4000/aad.2493.

The construction argumentative of the essay in variety of uninvited guests stories

Dr. Kahouli Mohamed Naceur

College of Arabic Langage and Social Studies
Al Qussaim university

abstract: The relationship between argumentation and narration is a Theme of continuous search. It was dominated by one aspect of the argumentation in narration, where the narration relegates the status of a servant to the argumentation, and is presented in various forms such as the example or the narrative argument. But there is another aspect that is different, which is represented by the argumentation in the narration. This article aims to show how argumentation are present at the level of the story in an ancient narrative text. We will base the article on four elements:

The first component revolves around the viability of actions. From a poetics perspective, actions are subject to narrative action, but in the argumentative approach are subject to argumentaton action. We will customize the second component to the personalities, to find out the aspects of their configuration argumentative at different levels.

In the third component, the article will focus on studying the place and explaining their argumentative, and turns it into a Instrument of persuasion. As for the fourth component, we will uniquely study it to study the argumentative load in time, and to explain how the situational value retreat and the dominance of persuasive value.

Perhaps the results are expected to show the new aspect of the relationship between the argumentation and the narration. In all this, we will benefit from the most prominent outputs of Linguistic and rhetorical research and studies.

**** Key words***: argumentation / story / argumentation in narration / The configuration / persuasion / parasite.